مقابر مركز الكوت. دراسة تاريخية

أ.م.د. طالب محيبس حسن الوائلي
جامعة واسط / كلية التربية

تعد دراسة تاريخ الكوت خلال العصور الحديثة من أكثر الحلقات صعوبة، لأسباب أهمها عدم الاهتمام بالمحافظة على مصادر هذا التاريخ، فنتيجة الجهل والإهمال أتلفت أطنان من الوثائق والأضابير، وفقدت الكثير منها، كما لا توجد جهة مختصة بجمع هذه المصادر وترجمتا، كما أن مثقفي المدينة) في الغالب مترددون في تدوين ملاحظاتهم ومذكراتهم عنها لأسباب اجتماعية في المقام الأول أو سياسية، لا تخفى على القارئ اللبيب . فالحصول على مخطوطات) أو مقابلات شخصية صعب للغاية، مع أن عددا من الباحثين تصدى لدراسة تاريخ المدينة) إلا أن معلوماتهم تظل أسيرة النصوص القليلة، فالسالنامات العثمانية غير متوفرة، والكتب البريطانية قليلة للغاية، وما ترجم منها قليل . عليه فإن ابسط المعلومات عن المدينة لم تحسم وما زال مختلف عليها بدءا من تأسيسها وتسميتها بـــ كوت العمارة " أو كوت الإمار " أو كوت « بـ ".

والكوت بلدة صغيرة تقع بين خطي طول ٥,٤٧ ٤٥.٥١ شمالا، ودائرة عرض ٢,٢٩ ٣٢.٣٢ شمالا ، ويحيطها نهر دجلة من ثلاث جهات، ضمت أعدادا من الأسر العربية والكردية، المسلمة واليهودية والمسيحية والصابئية، فبلغ عدد نفوسها سنة ١٨٩٠ أكثر من ٤١١٥ فردا، أغلبهم شيعة، أما الملل الأخرى فهم فضلا عن قليل من المسيحيين والصابئة، فيوجد زهاء مئة يهودي يعملون بالتجارة والخياطة والصياغة . يختلف عدد اليهود الوارد في إحدى السالنامات العثمانية خلال هذه المدة عن ما ورد في المصادر الأخرى، فتذكر سالنامة ولاية بغداد، لسنة ٣٢٣ هـــ ١٩٠٥) أنهم كانوا خلال تلك السنة خمسة فقط، لكننا نميل إلى الرقم الأول بسبب أن احد كتاب المدينة عدد أسماء ١٢ عائلة يهودية كانت في الكوت أثناء الحصار، وذكر آخر أن عدد العوائل هو أكثر من أربعين .

ارتفع عدد سكان مركز الكوت في أواخر أربعينيات القرن العشرين إلى ١٥٧٣٦ فردا بينهم بعض الجنسيات والملل الأخرى فمنهم ستة مصريين وثلاث لبنانيات وسوريتان وايطالي

واحد ١١ فردا من جنسيات أخرى[١]، وهناك أكثر من ١٨٣ يهوديا، ١٤١ نصرانيا و ١٠١ صابئي ويزيديان وثمانية من عقائد أخرى[٢].

تتكون الكوت القديمة من أربع محلات أقدمها لسراي، نسبة لسراي حكومة الذي بناه سنة 1917 الحاكم البريطاني الميجر ولسن Arnold Wilson 884 940) في الشارع المقابل للنهر، وموقعه في الساحة التي أنشئ عليها اليوم مرآب السيارات المتعدد الطوابق، وتمتد محلة السراي من حدود الحسينية الكبيرة وتنتهي من الشمال ب الجامع الكبير جامع السنّ) ومقبرة الحموي. والمحلة الثانية الشرقية الواقعة جنوب المدينة التي تسمى أحيانا محلة السيد نور ويحدها من الشمال محلتا السراي والسيد حسين، والأخيرة هي ثالثة هذه المحلات، تلك المحلة الصغيرة التي سميت نسبة إلى السيد حسين الحكيم البغدادي رئيس بلدية الكوت منذ العام 1884 الذي وزعها على السكان[٣]، وتقع بين سوق المدينة والساحة الحسينية شمالا ومحلة الشرقية والداودية جنوبا، ومحلة الداودية، التي سميت نسبة للقصاب داود سلمان شاوي البدري الشخصية المعروفة، وتقع بين محلتي السراي الجديد وسيد حسين شمالا والشرقية جنوبا، فضلا عن محلة السراي الجديد أو السراية الجديدة) أو الجدَيْدة أحيانا، المكونة من عدد من الأزقة عكد) منها: نوكر نازر، نسبة للعشيرة الكردية، والأكراد، والجديدة الذي توجد فيه المدرسة الشرقية، فضلا عن عكد السجن. وكانت مدينة الكوت منذ تأسيسها حتى العام 1935 محاطة بسور طيني من الشمال والشرق والجنوب يبلغ ارتفاعه مترين، وله أربعة أبواب هي: الشيوخ، الولاية، السوق، وباب القشلة[٤].

أما بقية محلات الكوت فهي حديثة ظهرت منذ أواسط العهد الملكي، ما عدا محلة العزة التي اكتسبت أهميتها من موقعها محطة للحمالين إلى النعمانية البغيلة، ومن هناك إلى الديار المقدسة في مناطق الفرات الأوسط، أو للقادمين من الناصرية والبصرة إلى بغداد، فكانت قائمة منذ العام ١٨٨٧ حين بنى لفتة آل حميد وأخوه خانا لمبيت الحمالين ورواحلهم والعمال القادمين للعمل في معملي الصوف و لسوس وفي حفر نهري الغراف والدجيلة[١]، فسميت بـ صوب الخان[٢]، ثم اندثرت الخانات بعد أن أقامت شركة عيسائي معملا لغسل الصوف وكبسه[٣]، ثم معملا لحزم السوس وتحميله، فسميت بـ صوب المكينة، وبعد اتساعها وتحولها إلى محلة سميت الفيصلية نسبة لملك العراق الأول[٤]، وانشئت خانات أخرى خلال مرحلة بناء سدة الكوت ٩٣٤ ١٩٣٩) لمبيت العمال، من هذه الخانات في

صوب العز : خان بتيه وخان حاكمة حاجم ، ثم تحول اسمها بعد ثورة ١٩٥٨ إلى العزي[٥].

وللمقابر كما هو معروف علاقة مهمة بالتاريخ الإنساني عندما تبحث الأمم عن حضارا ها فإنها جد ضالتها في الآثار المادية المتبقية من تلك الحضارات، فتدرس الرقم الطينية والأختام والمعابد وتحاول أن تحل الرموز والكتابات الموجودة، وكذلك المدافن التي يختلف تصميمها وطرائق الدفن فيها ومحتوياتها من عصر لآخر ومن أمة لأخرى، إذ تبقى المدافن الجزء الأكثر صلة تاريخ المكان وجغرافا ته وسكانه، فضلا عن ما يتضمنه من تأثير ت نفسية وعاطفية وعقيدية للأهالي و لسياح على السواء ، إذ يسكن بين طياتها الأسلاف استقطبت العلماء والباحثين، لسبر أغوار الماضي، وخصص ت الكثير من الدول مبالغ طائلة لبرامج صيانتها ، و شف سنوياً المزيد من الأسرار والكنوز. وصارت بعضها أهم مواقع التراث الإنساني العالمي ، نظرا لقيمتها الإنسانية والتاريخية والمعمارية والفنية والرمزية ، كمقبرة نورمندي الفرنسية ، مقبرة روما الأثرية ، مقبرة مكلي في الباكستان، أو أهرامات مصر، التي حصلت على جائزة منظمة السياحة العالمية لعام ٢٠٠٧ أفضل عنصر جذب سياحي عالمي، أو تاج محل في الهند رمز لحب والوفا ، فضلا عن مقبرة وادي السلام في مدينة النجف الأشرف التي يعود تاريخها لأكثر من ١٤٠٠ سنة تقريبا، وتعد الأكبر حجما في العالم تهفو إليها قلوب الزوار من دول عديدة، كما تعد مباركة لأن ثراها يضمّ مرقد النبيين هود وصالح عليهما السلام ، وعدد كبير من الأولياء والعلماء والملوك والوزراء فضلا عن عامة المسلمين، الذين دفنوا منذ أن عُرف قبر أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في النجف الأشرف ، باتت تشكل تاريخ العراق والأحداث التي مرت به من خلال معرفة الحقبة التي دفن فيها الموتى وأسباب الوفا ، فلا غرابة إذن أن تخصص أية دولة بعد ذلك مبالغ طائلة في استكشاف المقابر وترميمها في بلدانها، لعلها تجلب الباحثين و السياح الذين تستهويهم مثل هذه المعالم[٦].

كانت ظروف التنقل فيما مضى تحتم إما اللجوء إلى دفن موتاهم في مقابر محلية قريبة، موزعة على محلات الكوت . أو إرسال جنائز الموسرين إلى النجف محمولة على البغال أو الحمير ما يستلزم تجاوز مناطق خطرة وخالية من السكان، بعد أن يلف الجثمان بالقصب ويسجى في صندوق خشبي تابوت ، ويربط جيدا على ظهر الدابة كي لا يسقط فيكون ذلك فأل سيئا، وتحتفظ ذاكرة الأهالي بقصص مخيفة عن رحلات الحمالين (اجه ريه) وسقوط الجنائز

منهم ومهاجمتهم من الحيوانات المفترسة الجائعة فضلا عن أخطار صحية أخرى نتيجة تحلل بعض هذه الجثث .

وقعت بين يدي الباحث وثيقة نادرة أصلها مسودة مذكرة مقدمة لمراجع محافظة واسط، مجهولة الكاتب [٧]، يبدو أنه موظف في المحافظة، كما يبدو من تسميات المحلات الواردة فيها أن تاريخها يعود إلى أوائل السبعينيات من القرن الماضي . وكتبت بقلم الحبر على ورقة رسائل رقيقة زرقاء اللون . تتضمن الوثيقة تحديد المقابر الموجودة في الكوت يطلب كاتبها تحديدها وإحالتها إلى الأوقاف لصيانتها، ويلاحظ على هذه الوثيقة خلوها من الإشارة إلى مقابر للنصارى أو للصابئة، على الرغم من وجودهما في الكوت، ولو بأعداد قليلة، إذ يذكر أحد مؤرخي المدينة أن الكوت ضمت عشرين بيتا للصابئة [٨]، ويقول آخر أن مقبرتهم قرب محلة الجعفرية الحا يا [٩]. كما لم يشر إلى المقبرة التي كانت تحيط بمرقد السيد ياسر حسين شرع العميدي في العزا [١٠]، التي اندثرت الآن بفعل انتقال الناس منذ إنشاء الجسور في الكوت لدفن جثامين الأطفال والفقراء في مقبرة الكرامة، وقيام الأهالي بالبناء حول المرقد [١١].

كما لم تذكر الوثي ة مكان مقبرة للنصارى الذين تكاثرت أعدادهم بعد الاحتلال البريطاني، كما تقدم، وكانت لديهم كنيسة في الساحة الحسينية الحالية هدمت مع الكنيس اليهودي في عهد المتصرف عباس عبد اللطيف البلداوي ٢٥ نيسان ٩٤٨ ١٥ آب ١٩٥٢ [١٢]، ولنتذكر أن سنوات إدارة هذا المتصرف شهدت صدور قانون إسقاط الجنسية عن اليهود المرقم ١ في ٦ آذار ١٩٥٠، ومن ثم شهد العام الأخير لعهده هجرة يهود العراق ومنهم يهود الكوت إلى فلسطين المحتلة [١٣]. أما النصارى فقد اشترى أحدهم بيت الحاج عبد الخالق الخزرجي في محلة المشروع وأهداها لنصارى الكوت لتصبح كنيسا [١٤].

أقام أهالي الكوت عددا من المقابر لدفن موتاهم، ولعل مقبرة الحموي أقدم هذه المقابر، التي يبدو من حديث بعض الأهالي أنها سميت نسبة إلى أحد رجال الدولة العثمانية البارزين الذين دفنوا فيها . ا يذكر الكاتب سعدون السبع، أن سبب التسمية نسبة إلى متصرف من حماة السور ن [١٥]، وربما يقصد قائممقام، لأن الكوت كانت منذ ١٨٦٤ قضاء تابع لسنجق بغداد الذي يحكمه المتصرف [١٦]. ولا نعـرف في الواقع من هو هذا الموظف ذو الأصـل الحموي [١٧]. وتمتد من جامع الكوت الكبير وتشمل المدارس وشارع الأطباء وتمتد إلى بستان سعيد جمعة الذي هو في الأصل بست ن لشالوم اليهودي واشتراه منه أولاد سعيد جمعة [١٨]،

ويقع في حدود سوق رؤوف الحالي . وقد بدأت مقبرة الحموي تهمل منذ سنوات الاحتلال البريطاني، لتقام على أرضها المنشآت المدنية المؤشرة في الوثيقة،

انتقل الأهالي خلال سنوات الحصار العثماني للبريطانيين ١٩١٥ ١٩١٦) لـ فن موتاهم في مقبرة كرد أحمد التي استمدت اسمها من رجل كردي صالح قدم من بدرة ودفن فيها، وكان له مرقد شامخ ومتميز بني على هيأة قلعة مربعة تعلوه قبة خضراء [٩]، وقد أشرت الوثيقة حدودها التي حرصنا على تعقبها، فوجدنا أنها كبيرة جدا، بل هي تضاهي مساحة المدينة القد مة نفسها، وكان السبب في سعة مساحتها يعود الى العدد الكبير من قتلى الحصار، ومرض الملاريا الذي فتك بالسكان المحاصرين الذين يقول قائد القوات البريطانية المحاصرة في الكوت الجنرال تشارلس طونزند Ch. Tawsent ٨٦٠ ١٩٢٣) أن عددهم بين ٦ آلاف نسمة، ونزل إلى ٧٠٠' ي نيسان ١٩١٦ [١٠]. تمتد المقبرة من حدود مقبرة الانجليز لتشمل بعض أجزاء سوق الشيشان الحالي وتمتد عبر السوق المركزي الحالي لتصل إلى السينما الصيفي كراج الكوت القديم) وصولا للجعفرية، ويتذكر سكنة الجعفرية الأوائل أن المنطقة الفاصلة بينهم وبين السوق كانت تتخللها قبور وبقايا بشرية إلى وقت قريب [١١]

وبالنظر لاتساع المقبرة كان الأهالي يطلقون على كل مجموعة من القبور اسما تبعا لأشهر القبور في كل مجموعة التي غالبا ما تكون مراقد للعلويين، فقسموا المقبرة إلى مقابر منه : مقبرة بنات سيد حسين موقعها الحالي في سوق الشيشان، و مقبرة العلوية شريفة موقعها في شارع المكاتب في الشيشان، ومقبرة سيد الغريب في الداودية القصية الذي يقع مرقده في الركن الخلفي القصي الجنوب الغربي لمدرسة الاستقرار المجاورة لإعدادية الصناعة في شارع القص فيما يواجه السيد نور، وهكذا [١٢].

كانت تعيش في الكوت أكثر من أربعين أسرة يهودية أو مئة شخص كما تقدم، وكان لهم كنيس معروف في الساحة الحسينية يسمونه الأهالي التورا ، أنشئ منذ ١٨٧٣ ، كما كان هناك زقاق عكا) خاص بهم يقع خلف المدرسة المركزية ومصرف الرافدين [١٣]، عليه كانت لليهود مقبرتهم أيضا في موقع المدرستين المقابلتين لملعب الإدارة المحلية، كانت حينها بعيدة عن المدينة، لأن موقع محلة الجعفرية الحالي وجزء من الحاوي كان عبارة عن مفاخر كور) للطابوق .

ونشأت مقبرة الكرامة حول مرقد السيد محمد أبو الحسن التقي السابسي [٤٤] في منطقة سابس نسبة إلى اسم المنطقة القديم [٤٥]، التي تحولت إلى منطقة سكنية منذ ١٩٦٥ باسم الأنوار [٤٦]، ثم صار اسمها الكرامة، والمقبرة باقية للآن، إذ ما زال بعض قبورها موجودا، لكنها كانت أكبر من ذلك بكثير فقد كان المرقد يتوسطها وتمتد إلى ما وراء السدة الترابية الحالية، إلى أن عمدت الدولة أوائل السبعينيات إلى توزيعها على الموظفين قطعا سكنية، كما تم بناء مدارس على جزء منه . ومن بين من ضمت المقبرة أجسادهم، قتلى معركة سابس الشهيرة ضد الانجليز لفك الحصار عن الكوت ٨ آذار ١٩١٦ ، وما تبعها من معارك [٤٧]، فضلا عن الأهالي الهاربين من الحصار ممن قتلوا بنيران الأتراك، أو غرقوا في دجلة أو هلكوا من الجوع، ثم صارت مدفنا للأطفال والغرباء والفقراء بعد توفر المواصلات [٤٨].

وعن مقبرة السيد نور الواقعة في محلة الشرقية، فإنها أقيمت قرب مرقد السيد نور بن السيد ياسين بن السيد مطر العلاق الحسني الحلي المتوفى سنة ٢٨٦ هـ / ٨٦٩ – ٨٧٠ م [٤٩] الذي يقال أن أخواله أو أمه من بيت سبع البدري هم الذين بنوه [٥٠] وما زالوا للآن يقومون على رعايته [٥١]، وعلى الرغم من وجود المرقد بحالة جيدة فإن المقبرة اندرست وانتهت .

وقد تركت حوادث الاحتلالين العثماني والبريطاني في الكوت مقبرتين معروفتين لقتلاهما، فمقبرة الانجليز (Kut war cemetery 1914-1918) التي ضمت جثامين ٤١٨ فردا واشترى الانجليز أرضها من بيت سيف [٥٢]، تذكر بسنوات قاسية مرت على المدينة لاسيما حصار الكوت وما سبقه وما لحقه من مآس، ذلك الحصار الذي كان تجربة عسكرية مازالت تدرس في الكليات العسكرية وجيوش العالم، ليس فقط لأنه مثّل انتكاسة عسكرية للجيش الأعظم في حينه وهو الجيش البريطاني، بل بسبب عدد الضحايا البريطانيين والعراقيين والأتراك الذين ماتوا بعد ١٤٧ يوما من الحصار، تبعه استسلام ١٣ ألف عسكري بريطاني وهندي للعثمانيين، ثم ما قاسته المدينة بعد ذلك على يد الأتراك من بطش وإعدامات . وقد ذكر الجنرال طونزند قائد الجيش البريطاني أن ٣٣٨٨ فردا من جيشه قتل في حصار الكوت خلال المدة من ٤ كانون الأول ١٩١٥ ٣١ آذار ١٩١٦) سواء من الانجليز أو الهنود . فيما خسرت بريطانيا أكثر من ٢٣ ألفا في محاولات فك الحصار عن القوات البريطانية في الكوت التي باءت جميعها بالفشل [٥٣]، عليه ينبغي القول أن مقبرة الجيش البريطاني ليست

خارطة لمقابر مركز مدينة الكوت

خريطة (١) مقابر مدينة الكوت

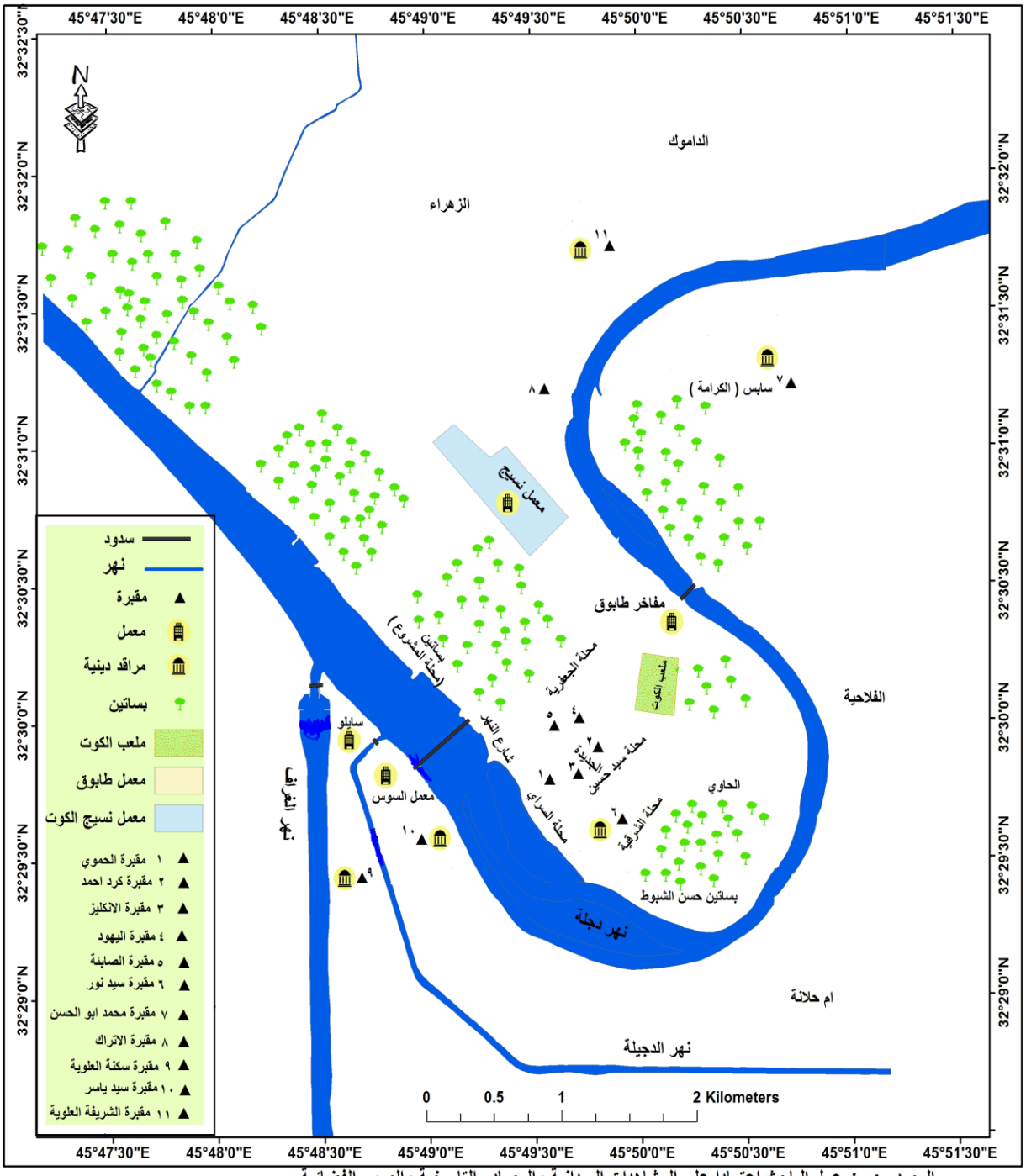

المصدر : من عمل الباحث اعتمادا على المشاهدات الميدانية والمصادر التاريخية والصور الفضائية

سوى مقبرة رمزية لا تضم رفاة جميع القتلى [٤]. وهي موجودة للآن وتعاني حاليا من الإهمال واندراس معالم القبور، بل صارت مرمى للنفايات وسرقت شواهد القبور واستخدمت في مواضع أخرى، على الرغم من أن الاهتمام عاد إليها بعد احتلال العراق ٢٠٠٣، وزارها قائد القوات البريطانية المشاركة في الاحتلال وأمر بإعادة ترميمه .

كما أن عدد شواهد مقبرة الأتراك قليل جدا مقارنة بأعداد قتلى الجيش العثماني خلال تلك الحرب، فهذه المقبرة التي أنشئت منذ العام ١٩١٧ لا تضم سوى خمسين شاهدة رمزية لقبور ضباط الأتراك وجنودهم داخل حديقة مسيجة أبعادها ٤٥ × ١٠٠) مقسمة لقسمين يضم كل منهما ٢٥ قبرا وأرضها مزروعة بالثيل وأشجار النخيل والزيتون والرمان يتوسطها نصب تذكاري ارتفاعه خمسة أمتار وتشرف السفارة التركية في بغداد عليها [٥]، وتقع قرب قصر الخاتون على دجلة، وهي قائمة للآن وبحالة جيدة [٦]. وهذا هو الموقع الجديد للمقبرة بعد أن غمرت مياه دجلة المقبرة القديمة على حافة النهر سنة ١٩٣٥ فبادرت السفارة التركية إلى نقل أربعة صناديق تحتوي جثث قادة أتراك قتلوا أثناء معارك احتلال العراق من المكان القديم إلى هذا المكان فدفنت في منتصف المقبرة وأنشئ فوقها النصب وهي ترمز لأكثر من ٣٦ ألف قتيل تركي في حوادث الاحتلال [٧].

أما مقبرة النصر على ضفة نهر الدجيلة، فهي تقع في أطراف محلة الكريمية حي النصر ، قرب مرقد العلوية سكنة) ابنة السيد كاظم بن أبو هدمة الياسري، وأسرتها موجودة الآن في الكوت، وكانت تمتد من أطراف المحلة حتى حدود الوحدة الميكانيكية، لكن المنطقة استغلت اليوم في بناء مدرسة وبدالة ووزع القسم الأكبر منها قطعا سكنية . وتوجد منها بعض شواهد القبور في الوقت الحاضر ، أبرزها قبر ، ميز لشاب أردني من الأسرة الهاشمية مات في الكوت، تنادى شباب المحلة لبنائه [٨].

وكانت هناك مقبرة حول مرقد العلوية الشريفة في أطراف محلة الزهراء وهي العلوية شريفة بنت سيد محسن العاملي الطفلة التي لم يبلغ عمرها أكثر من أربعة أشهر مرضت وماتت، فدفنت في مقبرة كرد أحمد فأقام لها الأهالي مزارا إلى أن بدأت الحكومة بشق الشارع الفاصل بين الجديدة وسوق الشيشان الحالي، فنقل أهلها رفاتها إلى منطقة الداموك، وذلك في أيام المتصرف الدكتور حسين كبة ٧ تموز ٩٥٤ ١٢ آذار ١٩٥٥) وبادر بنفسه بتهديم المقبرة طالبا من الأهالي نقل رفات ، وتاهم إلى مقبرة النصر السابق ذكرها [٩]، والمرقد معروف اليوم، لكن المقبرة صارت حيا كبير . وفيما يلي صورة الوثيقة [١٠]:

صورة الوثيقة

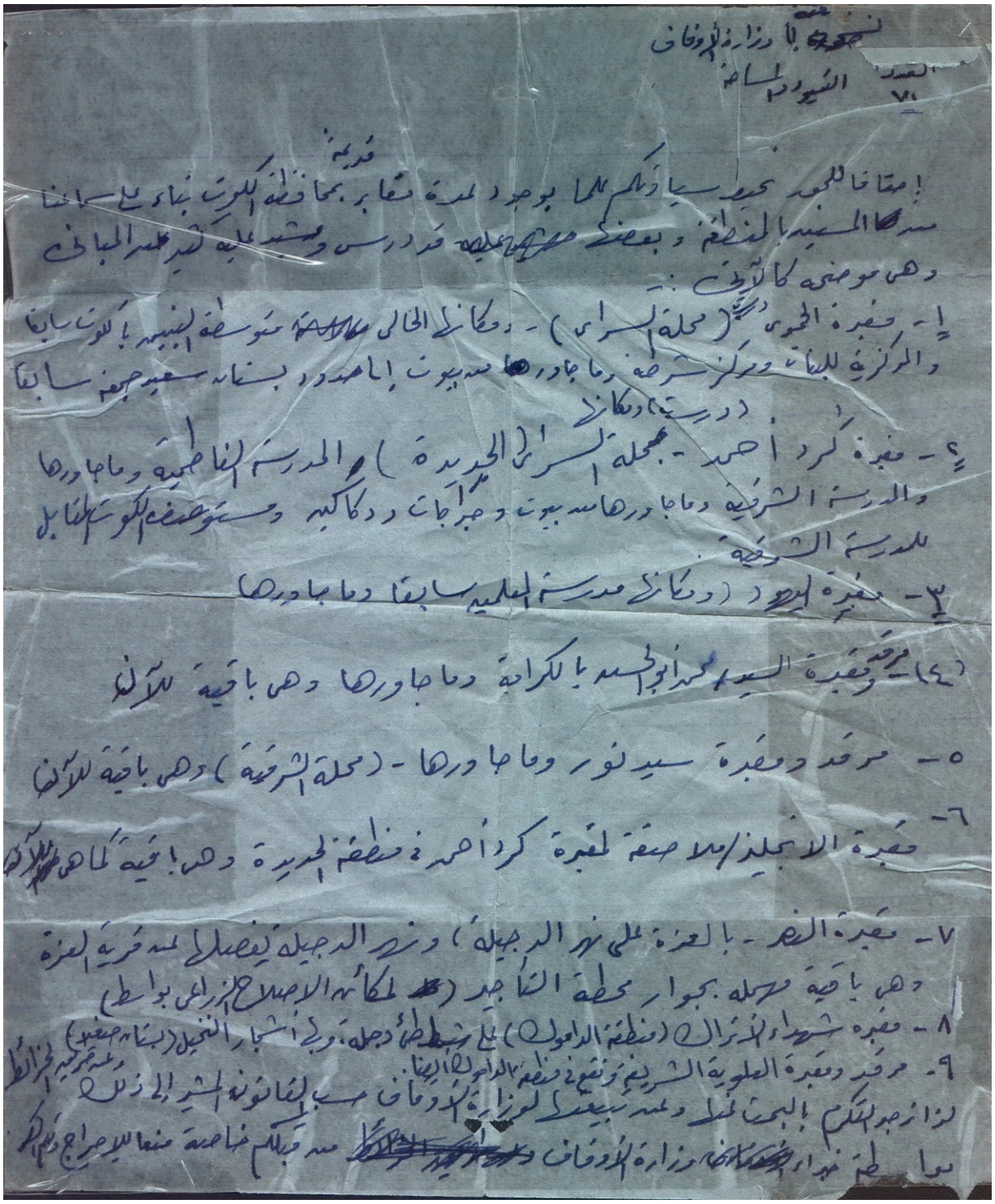

نسخة إلى وزارة الأوقاف

القيود والمساحة

العدد ٧٠

إحقاقا للحق نحيط سيادتكم علما بوجود عدة مقابر قديمة بمحافظة الكوت [١] بناء على سماعنا من المسنين بالمنطقة وبعضها قد درس ومشيد عليه كثير من المباني وهي موضحة كالآتي ـــ

– مقبرة الحموي محلة السراي – ومكانها الحالي متوسطة البنين بالكوت سابقا والمركزية للبنات [٢] ومركز شرطة وما جاوره من بيوت إلى حدود بستان سعيد جمعة سابقا .

– مقبرة كرد أحمد بمحلة السراي الجديد) والمدرسة الفاطمية [٣] وما جاورها والمدرسة الشرقية [٤] وما جاورها من بيوت وجراجات [٥] ودكاكين ومستوصف الكوت [٦] لمقابل للمدرسة الشرقية [٧]

– مقبرة اليهود ومكانها مدرسة المعلمين سابقا وما جاوره .

– مرقد ومقبرة السيد محمد أبو الحسن بالكرامة وما جاورها وهي باقية للآن [٨] .

– مرقد ومقبرة سيد نور وما جاوره – محلة الشرقية) وهي باقية للآن [٩] .

– مقبرة الانجليز / ملاصقة لمقبرة كرد أحمد في منطقة الجديدة وهي باقية كما هي للآن .

– مقبرة النصر بالعزة على نهر الدجيلة، ونهر الدجيلة يفصلها عن قرية العزة [١٠] وهي باقية مهملة بجوار محطة التأجير لمكائن الإصلاح الزراعي بواسط .

– مقبرة شهداء الأتراك منطقة الداموك) على شاطئ دجلة وبها أشجار النخيل بستان صغير .

١ . مرقد ومقبرة العلوية الشريفة وتقع في منطقة الداموك أيضا .

لذا نرجو التكرم بالبحث عنها وعن تبعيتها لوزارة الأوقاف حسب القانون المشير إلى ذلك وعن طريق الخرائط بواسطة خبراء وزارة الأوقاف من قبلكم خاصة منعا للإحراج . ولكم الشكر .

ختاما فإن المقابر تعد مصدرا مهما للباحثين والمؤرخين حرصت الدول المتقدمة على إدامتها والمحافظة عليها كي تظل شاهدا على العصور والآلام التي مرت بالبلدان فتكون عبرة لها، فمقبرة الانجليز لوحدها تعد مصدرا لدراسة تاريخ المدينة وموقعا سياحيا يستقطب الباحثين ذوي لقتلى الذين كانت أسماؤهم مدونة على لوحات من الرخام على كل قبر، إلا أن المقبرة تقع الآن في منطقة مزدحمة بالأسواق بعد توسع المدينة، وهي تعاني من الإهمال، بعد أن كانت لها إدارة تتابع شؤونها مع القنصلية البريطاني . ونرى ضرورة احترام قبورها مهما كان رأينا بالاحتلال والانكليز، وإعادة شواهد قبورها الرخامية وتسويرها وإيلاءها أهمية من المحافظة ودائرة الأوقاف .

أما مقابر المسـ مين القليلة المتبقية في الكوت ففي طريقها إلى الانقراض، نتيجة التوسع العمراني وتعبيد الطرق وتوفر المواصلات وتوجه الأهالي للدفن في كربلاء المقدسة أو مقبرة السلام في النجف الأشرف، ما يستدعي الاهتمام بهذه المقابر وتسويرها وزراعتها لأنها جزء من تراث المدين . كـ ا أنه لا بد أن يعيد بعض علماء ا دين ا مسلمين النظر في فتاوى تهديم القبو ، لأنها أضرت بالنسيج الإسلامي وفرقت الأمة التي تربى أبناؤها على زيارة مراقد سادتهم وأحبتهم لأخذ العبرة والالتصاق بدينهم وعقائد أسلافهم النقية، ا ما نتج عنها أحداث مأساوية في اليمن و أفغ نستان والعراق وليبيا ، غيرها، فضلا عن تدمير شواهد قبور آل البيت والصحابة في البقيـ ، وأدى ذلك كله إلى أن تسيل دماء مسلمة طاهرة، ، تشويه صورة الإسلام ، ردود فعل سيئة ضد الدين لا ضد رجال .

هوامش وتعليقات:

ا) تصدى بعض مثقفي المدينة لتدوين معلومات مهمة عن تاريخ المدينة ورجالها، يمكن الاطلاع على نتاجهم من خلال هوامش هذا البحث . ولعل أول هؤلاء : المحامي محمد علي الصوري، صاحب أول أهم كتاب هو الإقطاع في لواء الكوت ، بغداد ١٩٥٨ ا .

') هنالك مخطوط مهم للسـ د راضي الطباطبائي، هو أقدم مصدر معروف لم نستطع الحصول عليـ .

') قدم عدد من طلبتنا رسائل ماجستير منهم : سعيد عبد علي باصي المكصوصي، دور نواب الكوت في البرلمان العراقي ١٩٢٥ ١٩٣٠ جامعة واسط ٢٠٠٦ ؛ كريم عجيل، الكوت في العهد العثماني المتأخر ١٨٦٩ ١٩١٧ الجامعة المستنصرية ٢٠٠٩ ، فاطمة عبد شرقي، الكوت دراسة في تطوراتها الإدارية والسياسية ١٩١٤ ١٩٣٩ جامعة واسط ٢٠٠٩ . لكنها لم تأخذ طريقها للنشر .

ـ) تراجع الخريطة رقم ا) المرفق .

( ) . لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة : مكتب امير دولة قطر، الدوحة، ١٩٧٥، ص ٤١٣؛ كوت العمارة، مقال في مجلة لغة العرب، السنة الثامنة، الجزء العاشر، ١٩٣٠، ص ٦٢.

) يقارن : سالنامه ولايت بغداد، سنه ٣٢٣ هـ ١٩٠٥، دفعه ٩، ص ٦١، مثنى حسن مهدي، عالمية مدينة الكوت . قصة الحصار، الكوت ٢٠١١، ص ٤٩؛ عبد المنعم الطباطبائي، واسط بين الماضي والحاضر، مخطوط، ص ٢.

) محمد علي الصوري، المصدر السابق، ص ١٢٩.

) بالنسبة لعدد كل من اليهود والنصارى فهو يشمل الكوت والنعماني . المصدر نفسه، ص ١٣٠.

) الطباطبائي، المصدر السابق، ص ٥٣. يؤرخ الطباطبائي رئاسة حسين الحكيم سنة ١٨٨٢، لكن سالنامة ولاية بغداد سنة ٣٠٢ هـ ١٨٨٤، تذكر أن رئيس بلدية الكوت سنة ١٨٨٤ هو شخص اسمه حسين أفندي، وأعضاءها هم كل من : عقوش باشا، جودي آغا، سيد شاكر آغا، فضلا عن حسين بيك كاتبا للمجلس . أما السبع فيؤرخها في ثلاثينيات القرن العشرين . يقارن : سالنامه ولايت بغداد، سنا ٣٠٢ ـ ١٨٨٤، دفعا ، ص ٢٣؛ سعدون السبع، المصدر السابق، ص ١١.

١٠) جبر عطية، الوظيفة السكنية لمدينة الكوت، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد، ١٩٨٩، ص ٢٢.

١١) مقابلة شخصية مع المدرس الأستاذ محمد عنيد من أهالي العزة القدماء في ١٠ نيسان ٢٠١٢.

١٢) عادل البكري، المصدر السابق، ص ١٧.

١٣) مذكرات الفريق طونزند ، ترجمة : عبد المسيح وزير، تقديم وتعليق : حامد احمد الورد، بغداد، ١٩٨٦، ص ٥٧؛ رسل برادون، حصار الكوت، ترجمة : سليم طه التكريتي وعبد المجيد التكريتي، الجزء الأول، بغداد ١٩٨٤، ص ١٧٩.

١٤) الطباطبائي، المصدر السابق ص ٧؛ ٨.

١٥) مثنى حسن مهدي، المصدر السابق ٨٣.

١٦) عبد الصاحب الشاكري، زيارة المقابر . سياحة المتاحف المفتوحة ، مجلة السياحة الاسلامية، العدد ٨، موجودة على شبكة الانترنت :

http://www.islamictourism.com/Arabic_Articles/article.php?issue=38

١٧) حاول الباحث التوصل إلى كاتب الوثيقة من خلال التعرف على الخط أو شيئ عن الوثيقة في ضوء مقابلة عدد من موظفي محافظة واسط القدماء، لكن دون جدوى . وكل ما نتوقعه ن الوثيقة هي مسودة كتاب مرفوع ن ملاحظ الأوقاف في واسط إلى محافظ واسط مع إعطاء نسخة من الكتاب إلى وزارة الأوقاف بوصفها المرجع الإداري لهم.

١٨) الطباطبائي، المصدر السابق، ص ٣.

(١٩) سعدون صالح السبع، موسوعة تاريخ الكوت قديما وحديثا، النجف ٢٠١١ ، ص ٥٩.
(٢٠) المصدر نفسه، ص ١٥ ؛ مقابلة مع سا ن المرقد جون مجيد دريب في ١٢ نيسان ٢٠١٢.
(٢١) مقابلة شخصية مع المدرس الأستاذ محمد عنيد من أهالي العزة القدماء في ١٠ نيسان ٢٠١٢.
(٢٢) اتخذ المسيحيون دارا في محلة المشروع لتكون كنيسة لهم . يراجع : عادل البكري، تاريخ الكوت، بغداد ٩٦٧ ، ص ٦٠ ؛ الطباطبائي، المصدر السابق، ص ٣٠.
(٢٣) يراجع : صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق ٩١٤ ١٩٥٢، بغداد ١٩٨٠، ص ١١، ٢٤ ٣١.
(٢٤) سعدون السبع، المصدر السابق، ص ٢٩.
(٢٥) المصدر نفسه، ص ٥٩.
(٢٦) يراجع : جميل النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، بغداد ٢٠٠١ ، ص ١٧ ١٨٩.
(٢٧) ائممقامو الكوت خلال العهد العثماني هـ : شوكت بيك والد ناجي شوكت ٨٨٨ ١٨٩٥ ، لامع بيك ١٨٨٤ وكالة ، محمد فريد باشا ٨٩٥ ١٨٩٩ ، جعفر بيك ١٨٩٨ وكالة) راسم أفندي ٨٩٩ – ؟؟ ، مرة ثانية ٩٠٧ ١٩١٤ ، غالب أفندي ٩١٤ ١٩١٥) وكالة، محمد علي الهاشمي ٩١٥ ١٩١٦) وكالة . تراجع : سالنامه ولايت بغداد، سنه ٣٠٢ هـ ١٨٨٤ ، ص ٢١ ؛ سنه ٣٠٦ هـ ١٨٨٨ ، ص ٢٢ ؛ سنه ٣١٣ هـ ١٨٩٥ ، ص ٨٧ ؛ سنه ٣١٦ هـ ١٨٩٨ ، ص ١٨، ؛ سنا ٣١٧ هـ ١٨٩٩ ، ص ٤٤، ؛ سنا ٣٢٩ هـ ١٩١١ ، ص ٧٥ .
(٢٨) الطباطبائي، المصدر السابق، ص ٢٠.
(٢٩) مقابلة شخصية مع ثلة من سكا ن المنطقة، من بينهم إبراهيم زيدان، في ٨ نيسان ٢٠١٢. ومما يذكر أن أهالي الجديدة كانوا يخافون من النوم على سطوح المنازل صيفا بسبب ما شاع بينهم عن عبد أسود يخرج من سطح المرقد صارخ . مقابلات خاصة .
(٣٠) يقارن : مذكرات الفريق طونزند ، ص ٦٠، ٨٠، وص ٢٩.
(٣١) مقابلة شخصية مع شاهد عيان هو الأستاذ إسماعيل سكران الوائلي، في ١٢ نيسان ٢٠١٢.
(٣٢) سعدون السبع، المصدر السابق، ص ١٩.
(٣٣) يراجع : الطباطبائي، المصدر السابق، ص ٢٠.
(٣٤) هو السيد محمد التقي السابسي بن الحسن الفارس بن يحيى بن الحسين النسابة بن أحمد بن عمر بن يحيى بن حسين ذي الدمعة الساكبة بن زيد الشهيد بن الإمام علي زين العابدين . تقلد والده نقابة النقباء في بغداد أيام الحكم العباسي سنة ٤٨٤ هـ ١٠٩٤ م بتأييد الخليفة القادر بالله ، أصبح السيد محمد أميراً للحجاج العراقيين لمدة طويلة ، وتوفي في واسط ضمن أملاكه سنة ٩٧ هـ ١٠٠٦ م وله من العمر مائة سنة ، وكان نقيباً للنقباء وأميراً للحجاج . لحقه لقب السابسي) من سابسر) قرية قرب نهر منسوب إليها ، وقد

تزوج من فاطمة) ذات الشرفين خت الشريفين الرضي والمرتضى ، كما أن الشريف الرضي صاهره على ابنته فاطمة الكبرى . عثر على قبره في القرن السابع عشر.

http://www.imamiali.co.cc/vb/showthread.php?t=104224&page=2

٢٥) جمال الدين بن عنبة، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، النجف، ١٩٨٨ ، ص ٢١٦ ، ٢٨٠ .

٢٦) نسبة لمتصرف لواء الكوت أنور ثامر ٢ أيار ٩٦٤ ١ تشرين الأول ١٩٦٥ .

٢٧) مذكرات الفريق طونزند ، ص ٧٥ ٧٧ ..

٢٨) سعدون السبع، المصدر السابق، ص ٥٩ .

٢٩) اعتمدنا على التاريخ المثبت على شاهدة المرقد بالتاريخ الهجري وحولناه للميلادي، وهو يختلف عما أورده كل من الطباطبائي والسبع، إذ ي حدداه بسنة ٣١٨ هـ ٩٠٠ . يقارن : الطباطبائي، المصدر السابق، ص ٤١ ؛ سعدون السبع، المصدر السابق، ص ١ .

٣٠) الطباطبائي، المصدر السابق، ص ١٤١

٣١) مقابلة شخصية مع السيدة أم خالد زوجة جميل السبع خادمة المرقد ف ٢ نيسان ٢٠١٢ .

٣٢) سعدون السبع، المصدر السابق، ص ١٩٩ .

٣٣) مذكرات الفريق طونزند ، ص ٨٥ ٨٦ . أن أكثر من سبعة آلاف أسير من بين الذين استسلموا في الكوت ماتوا في طريق سفرهم إلى الأناضول .

٣٤) يتذكر بعض كبار السن في الكرامة، أنهم رأوا في سابس جثث بريطانيين بعد المعارك ولفتت نظرهم جثة مجندة بريطاني .

٣٥) عبد الجليل ضاري السعدون، مناطق السياحة الدينية في محافظة واسط، بحث ، مجلة كلية التربية _ جامعة واسط، العدد الثالث، نيسان ٢٠٠٨ ، ص ١٩٩ .

٣٦) بنى الأتراك على ضفة دجلة اليمنى مقابل هذه المقبرة عدة قلاع بقي منها اثنتان حتى أواسط السبعينيات عندما اضطرت البلدية لتهديم بقاياها بعد سقوط جدرانها على طفلين من أقراننا كان يبحثون عن الرصاص تحت جدرانها .

٣٧) مقابلة مع الحاج هاشم عنبر باني العابدي القائم على مقبرة الترك في الكوت بتاريخ ٢٤ آذار ٢٠١٢ .

٣٨) مقابلة شخصية مع السيد كامل حاوي العتابي خادم المرقد ف ٢ نيسان ٢٠١٢ .

٣٩) الطباطبائي ، المصدر السابق، ص ١٧ .

٤٠) زودني بها مشكورا الصديق الأستاذ وليد فرحان ثويني السعدون، كما أشكر كل من الدكتور ضياء الدين عبد الحسين القريشي والناقد الأستاذ محمد رشيد السعيدي لما قدماه من مساعد .

٤١) اسمها الرسمي محافظة واسط منذ في وقت كتابة الوثيقا . فمنذ سنا ١٩٧٠ صدر قانون حوّل الألوية إلى محافظات فصار لواء الكوت محافظة واسط، وكان أول محافظ هو محمد غانم العناز ١٤ نيسان ٩٧٠ ٣ تشرين الأول من السنة نفسه .

٠٢) هاتان المدرستان ما زالتا موجودتين خلف وجوار مركز شرطة البلدة سابقا . بنيتا سنة ١٩٢٩ على أنقاض مقبرة الرِ موي، وكذلك بني مركز الشرط . وهي ثاني مدرسة بعد المركزية التي بنيت سنة ١٩٢٢ وما زالت بجوار المصرف . الطباطبائي، المصدر السابق، ص ١١ .

٠٣) كانت هذه مدرسة للبنات موقعها وسط سوق الشيشان الحالي، ثم تحولت إلى مديرية للتجهيزات التربوية قبل تهديمها أوائل الثمانينيات . وكان بجانبها حي صناعي صغير أنشئ سنة ٩٥٥ ، تمت إزالته مع البيوت والمنشآت قبل إزالة المدرسة .

٠٤) تقع هذه المدرسة في شارع الجديدة، وهي موجودة للان ومازال طلبتها يتذكرون ظهور بقايا بشرية من الأرض كلما كلفهم المعلم بزراعة الحديقة . مقابلة مع السيد عمرو حسين أحد طلاب المدرسة في ١٢ نيسان ٢٠١٢ .

٠٥) مواقف سيارات .

٠٦) كان المستوصف المذكور يقع في أقصى المثلث المقابل لمدخل شارع القص الحالي، مقابل زقاق نوكر نازر وقد تحول المستوصف قبل إزالته إلى مركز للأمومة والطفولة .

٠٧) ربما تمتد هذه المقبرة جنوبا حتى بستان الحاج حسن لسبع مدينة الألعاب حالي ، إذ حدثني أحد الأصدقاء أن مدرستهم الواقعة في طرف البستان أجري عليها إعمار وحفريات فظهرت بقايا بشرية ما دعا الطلبة إلى ترك الدراسة أيام طويلة .

٠٨) أذكر أن أحد زملائنا توفي سنة ٩٧٢ بعد أيام من إصابته بحجر رماه طفل في اليوم الأول لدوام في المدرسة الجديدة أبو ذر الغفاري ، فقيل أن السبب هو بنائها على المقبرة، وأن ظهر المدرسة مواجه للسيد أبو الحسن . لكن هذه المدرسة خرجت العديد من الكفاءات والمثقفين والشغيلة، المهم أن هذه المقبرة استمرت باستقبال الموتى من الأطفال والفقراء والغرباء حتى أيام قريبة، وقد رأيت يوما ما في طفولتي نساء تدفن شيئا ما في المقبرة وقت الغروب فذهبت برفقة والدي في اليوم التالي لنكتشف أنه نوع من الأعمال الشيطانية فأبطلنا مفعوله .

٠٩) المرقد موجود وعامر الآن بالزائرين لكن المقبرة درست .

١٠) العزة محلة وليست قرية .

قائمة المصادر:

أولا. الوثائق التركية المنشورة:

. سالنامه دولت علية عثمانية ولايت بغداد، سنة ٣٢٣ هـ ١٩٠٥ ، دفعة ١٩ .

. سالنامه ولايت بغداد، سنة ٣٠٢ هـ ١٨٨٤ .

. سالنامه ولايت بغداد، سنة ٣٠٦ هـ ١٨٨٨ .

. سالنامه ولايت بغداد، سنة ٣١٣ هـ ١٨٩٥ .

. سالنامه ولايت بغداد، سنة ٣١٦ هـ ١٨٩٨ .

. سالنامه ولايت بغداد، سنة ٣١٧ هـ ٨٩٩ .

. سالنامه ولايت بغداد، سنة ٣٢٩ هـ ٩١١ .

ثانيا. الكتب العربية والمعربة:

. لوريمر، دليل الخليج، القسم التاريخي، ترجمة : مكتب أمير دولة قطر، الدوحة ٩٧٥ .

. جبر عطية، الوظيفة السكنية لمدينة الكوت، رسالة ماجستير، كلية الآداب، جامعة بغداد ٩٨٩ .

. جمال الدين بن عنبة، عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، النجف ٩٨٨ .

. جميل موسى النجار، الإدارة العثمانية في ولاية بغداد، بغداد ٢٠٠١ .

. رسل برادون، حصار الكوت، ترجمة : سليم طه التكريتي وعبد المجيد التكريتي، ، بغداد ٩٨٤ .

. سعدون صالح السبع، موسوعة تاريخ الكوت قديما وحديثا، النجف ٢٠١١ .

. صادق حسن السوداني، النشاط الصهيوني في العراق ٩١٤ ٩٥٢ ، بغداد ٩٨٠ .

. عادل البكري، تاريخ الكوت، بغداد ٩٦٧ .

. عبد المنعم الطباطبائي، واسط بين الماضي والحاضر، مخطوط .

. لغة العرب مجلد ، السنة الثامنة، الجزء العاشر ٩٣٠ .

١ مثنى حسن مهدي، عالمية مدينة الكوت . قصة الحصار، الكوت ٢٠١١ .

٢ . مذكرات الفريق طونزند ، ترجمة : عبد المسيح وزير، بغداد ٩٨٦ .

ثالثا. البحوث:

. عبد الجليل ضاري السعدون، مناطق السياحة الدينية في محافظة واسط، بحث ، مجلة كلية لتربية _ جامعة واسط، العدد الثالث، نيسان ٢٠٠٨.

. عبد الصاحب الشاكري، زيارة المقابر . سياحة المتاحف المفتوحة ، مجلة السياحة الإسلامية، العدد ٣٨ ، موجودة على شبكة الانترنت :

http://www.islamictourism.com/Arabic_Articles/article.php?issue=38

رابعا. المقابلات الشخصية:

. مقابلة شخصية مع المدرس الأستاذ محمد عنيد من أهالي العزة القدماء .

. مقابلة شخصية مع ثلة من سكان منطقة سيد حسين، من بينهم إبراهيم زيدان .

. مقابلة شخصية مع شاهد عيان هو الأستاذ إسماعيل سكران الوائلي .

. مقابلة شخصية مع السيد كامل حاوي العتابي خادم مرقد سكنة العلوية .

. مقابلة شخصية مع السيدة أم خالد زوجة جميل السبع خادمة مرقد السيد نور العلاق .

. مقابلة شخصية مع جون مجيد دريب ابن أخ السيد ياسر العميدي وسادن مرقد .

. مقابلة شخصية مع السيد عمرو حسين أحد طلاب المدرسة خلال السبعينيات .

. مقابلة مع الحاج هاشم عنبر باني العابدي القائم على مقبرة الترك في الكوت .